مختصر خطبة صلاة الجمعة 10/6/2022 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(منزلة المراقبة)

المراقبة هي يقين العبد باطلاع الحق سبحانه وتعالى عليه، أو هي مراعاة القلب لنظر الرب في كل خطرة وخطوة، وهي ثمرة علم العبد بأن الله سبحانه رقيب عليه، ناظر إليه، سامع لقوله، ومطلع على عمله كل وقت وكل لحظة، وكل نَفَسٍ وكل طرفة عين، وأرباب الطريق مجمعون على أن مراقبة الله تعالى في الخواطر سبب لحفظ حركات الظواهر، فمن راقب الله في سره، حفظه الله في حركاته في سره وعلانيته.

وللمراقبة ثلاث درجات:

– **الأولى أن يراقب العبد ربه:** كأنه ينظر إليه وهي أعلى درجات المراقبة وفيها وفي الدرجة التي تليها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

قال الإمام العارف عبد الله بن المبارك لرجل: راقِبِ الله تعالى، فسأله عن تفسيره فقال: كن أبدا كأنك ترى الله عز وجل.

مرّ عبد الله بن عمر براعٍ فاستسقاه لبناً فسقاه ثم طلب إليه أن يذبح لهم شاة فاعتذر بأنه لا يملكها، فقال بالثمن، قال إن صاحبها أذن لي بسقي الناس من لبنها ولم يأذن لي ببيعها، فأراد أن يختبره فقال اذبحها وخذ ثمنها وقل لصاحبها أكلها الذئب! فصرخ الراعي: فأين الله! فبكى عبد الله وجعل يقول فأين الله!

إنها أعلى درجات المراقبة أن تراقب الحق سبحانه وتعالى فتكسبك هذه المراقبة كل خير وتدفع عنك كل سوء.

أحيل مدير دائرة عامة يراجعها كبار التجار والصناع على التقاعد، احتفى به موظفوه وودعوه مكرمين له وشاكرين حسن إدارته، طلب المدير الجديد زيارته في بيته فرحب به المدير المتقاعد، ولما زاره رأى بيتاً بسيطاً وأثاثاً متواضعاً، فقال له: توقعت أن أرى قصراً ومالاً لحساسية منصبك الوظيفي السابق وارتباطه بكبار التجار والصناع، ولكني أرى غير ذلك! هزّ المدير المتقاعد برأسه مبتسماً وقال صدقت لولا مراقبتي لله لكنتَ رأيت الذي قلت!

– **وثاني درجات المراقبة: مراقبة نظر الحق إليك:** فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وهذه المراقبة تورث الحياء من الله تعالى وتصحيح الأعمال وفق الشرع وتجديد التوبة كلما زلت القدم، فصاحب هذه المراقبة يدع المعاصي استحياءً من ربه وهيبةً له أكثر مما يدعها خوفاً من عقوبته، قال أبو حفص النيسابوري: إذا جلست للناس فكن واعظاً لقلبك ونفسك، ولا يغرنّك اجتماعهم عليك، فإنهم يراقبون ظاهرك، والله يراقب باطنك.

رأى محمد بن المنكدر رجلاً واقفاً مع امرأة يكلمها فقال: إن الله يراكما! فأصابهما الحياء وانصرفا.

– **وثالث درجات المراقبة مراقبة مواقع رضا الرب، ومساخطه في كل حركة:** فإنّ لله تعالى على العبد في كل وقت فرضاً أو ندباً أو إباحة أو تحريماً، فالفرض شيء أُمِرَ العبد بفعله، والتحريم شيء أمر العبد بتركه، والندب شيء حثّ الشارع عليه وهو المسابقة بخير يقرب إلى الله عزّ وجلّ، والمباح شيء فيه صلاح الجسم والقلب، فينظر العبد المراقب لمواقع رضا الرب ومساخطه في أوقاته كلها الفرضَ ليأخذه والندبَ ليأخذ منه والمباح ليتقوى به على سابقَيه، والحرام ليتركه.

وعلامة هذه المراقبة: إيثار ما أنزل الله، وتعظيم ما عظم الله، وتصغير ما صغر الله، وهي مورثة لرضا الله وجنته.

والحمد لله رب العالمين